التأويل في ضوء اللسانيات والتلقي

أحمد محمد عبد العال المغربي (*)

الملخص

يستعرض هذا البحث :

1 . ظهور الدراسة اللسانية على يد دو سوسير، وتطور هذه الدراسة في المراحل اللاحقة على يد المدرسة الأمريكية ، والتي اقتصرت على الدراسة الشكلية .

2. نشأة المدرسة التحويلية التوليدية التي أضافت إلى البنية الشكلية التفسير أدى ذلك إلى ظهور ما يسمى بالمناهج الوظيفية ، أي دراسة وظيفة اللغة في المجتمع . ومن هنا ظهرت البراجماتية اللغوية وتحليل الخطاب وعلم اللغة الاجتماعي ونتج عن هذا الاهتمام بالسياق الخارجي وبالمعاني الضمنية في النص .

3 . ظهور التأويل كعلم يتناول تفسير النص في ضوء الأسس الشكلية والتفسيرية والمعاني الضمنية ، بعدما كان منحصرا في تفسير أو تأويل النصوص الدينية فقط . وهكذا تم الاهتمام بتأويل النص ثم دراسة تطور مراحل التأويل وآلياته في المراحل اللاحقة وصولا في النهاية إلى الاهتمام بالمتلقي . فالتأويل يعتمد على المتلقي لأن المتلقي هو الذي يعيد إنتاج معنى النص . ومن هنا نشأت نظرية التلقي – من أبرز ممثليها ياوس وإيزر – التي فتحت أفقا جديدا في مجال التأويل.

4 . أنتج إيزر اتجاها جديدا – على عكس الاتجاهات الأخرى التي كانت ترى أن العلاقة بين النص والمتلقي تسير في اتجاه واحد – فرأى أن عملية التلقي تسير في اتجاهين متبادلين ؛ من النص إلى المتلقي ، ومن المتلقي إلى النص . فبقدر ما يقدم النص للمتلقي ، يضفي المتلقي على النص أبعادا جديدة ، قد لا يكون لها وجود في النص .

---

* معيد بقسم اللغة العبرية

Hermeneutics in the Light of Linguistics and Reception Theory

Ahmad Muhammad Abdul-aal Elmaghreby

Abstract

This research discusses :

1. The appearance of linguistic, study by "De Saussure The development of this study in upcoming stages by American school, which was limited to Morphological study .

2. Appearance of the school Transformational Generative, which added an interpretation to the structure.as a result, the functional methods appeared , or rather, the study of language's function in the community. therefore , the Linguistic pragmatics , discourse analysis and social Linguistics grew up that led to the care of non-linguistic context and implicite meanings in the text .

3. The appearance of herminutics as a method explains the interpretation of the text in light of the morphological bases and implicite meanings , after it was limited to the interpretation of religious texts only . Then Study development of herminutics, and it's techniques in the upcoming stages, eventually, the care of the recipient .because the recipient who reproduces the meaning of the text . Thus, the reception theory has arised, which opened a new horizon in the area of interpretation.

4. Ezer produced new direction - on the contrary of other trends, which saw the relationship between the text and its recipient is going in one direction - he saw that the process of Reception is in two-ways; from the text to the recipient, and Vice versa . As far as the text gives the recipient, the recipient gives new dimensions , may not be presented in the text.

مقدمة :

يتتبع هذا البحث نشأة التأويل والتلقي بداية من ظهور الدراسات اللسانية – في القرن العشرين – على يد دو سوسير ، وتطورها على يد المدارس اللسانية التي أعقبت دو سوسير في أوروبا وأمريكا ، ثم تطور المدرسة الأمريكية إلى ما يسمى بالبنيوية ، وصولا إلى المدرسة التوليدية التحويلية التي أدت فيما بعد إلى نشأة البراجماتية اللغوية وتحليل الخطاب واللسانيات الاجتماعية . وهذه الفروع جميعا أسفرت عن ظهور النص ، الذي أثمر بدوره عن ظهور الدراسات التأويلية بمفهومها الحديث التي تعتمد على البراجماتية التي تشتغل على السياق غير اللغوي أو السياق الخارجي . وتهدف الدراسة إلى تعريف القارئ بطبيعة التأويل ، ولماذا يلجأ المتلقي للتأويل .

الدرس اللغوي واتجاهاته :

تناول الباحثون الدرس اللغوي وفقا لاتجاهين رئيسين ، وهما :

1 . اتجاه الدراسات الشكلية للغة .

2 . اتجاه دراسات اللغة في السياق التواصلي . [1]

1 . الاتجاه الشكلي :

يتمثل الاتجاه الشكلي – في دراسة اللغة – في دراسة النظام اللغوي معزولا عن سياق التواصل الاجتماعي . وقد درس اللغويون المحدثون اللغة دراسة شكلية ، ويُعزى ذلك إلى دو سوسير . فلما قامت اللسانيات في بداية القرن العشرين اقترح دو سوسير تطبيق المبدأ الرياضي على اللغة ، ومن ثم اهتم بالشكل لأن شكل 2×2 يغاير شكل 2+2 ، وكل هذا يغاير 2÷2 .

والأسس التي يعتمد عليها منهج دو سوسير في دراسة اللغة هي أربعة :

1 . السنكرونية [2] Synchrony مقابل الدياكرونية [3] Diachrony : يمكن أن تحلل اللغة سنكرونيا ، أي ننظر إلى اللغة خلال فترة محددة من الزمن . ونستطيع كذلك أن نحلل اللغة ديكارونيا ، أي أن نضع في حسابنا تفسير التغيرات التي تطرأ على اللغة عند الانتقال من فترة زمنية إلى فترة زمنية تالية لها .

2. اللغة والكلام Langue and Parole : في هذا التقسيم دمج دو سوسير بين قسمين منفصلين ، أحدهما اجتماعي / فردي ، والآخر تجريدي / ملموس . وكل قسم من هذين القسمين مترابط ، فالكلام يمثل الجانب الفردي واللغة تمثل الجانب الاجتماعي .

3 . الدال Signifier والمدلول Signified : يرى دو سوسير أن اللغة نظام من العلامات Signs ، ويرى أن العلامة ليست شيئا يحل محل شئ آخر ، ولكنها علاقة بين شيئين : المفهوم concept والصورة المفهومية acoustic image أي الدال والمدلول .

وعند دراسة العلامة يميز المرء بين نوعين من العلاقات : علاقة لغوية وعلاقة غير لغوية . العلاقة اللغوية هى علاقة بين وجهين : الصورة الصوتية والصورة الذهنية (المفهوم) ، والعلاقة غيراللغوية هى العلاقة بين العلامة (أي الوحدة اللغوية) والشئ المقصود في العالم الواقعي .

وينتج عن الربط بين الصورة الصوتية والصورة الذهنية (أي الدال والمدلول) ما يسمى بالمعنى ، والصلة بين الدال والمدلول قوية ، ولا يمكن فصلها . هذه الصلة اعتباطية ، أي ليست فطرية أو طبيعية ، لذا يتغير الدال من مجتمع إلى آخر ، فالمدلول مثلا هو كتاب والدال السلسلة الصوتية ك . ت . ا . ب . في العربية . أضف على ذلك أن كون العلاقة اعتباطية ، فهذا يعني أنه لا يمكن التنبؤ بمعناها ، إلا إذا كنا نعرف هذا المعنى من قبل .

وميز دو سوسير بين معنى العلامة وقيمتها ، فالمعنى هو العلاقة بين الدال والمدلول ، أما القيمة structural value فتعتمد على موقع العلامة بالنسبة إلى العلامات الأخرى في ضوء نظام اللغة بشكل عام .

ومثال على ذلك الكلمة الفرنسية mouton لها معنى يشبه معنى كلمة sheep في الإنجليزية ، ولكن ليس لها نفس القيمة ، لأننا عندما نتكلم عن قطعة من اللحم الضأن التي تُعد ، هنا تستخدم الإنجليزية كلمة mutton ولا تستخدم كلمة sheep ، فالفارق في القيمة بين sheep و mouton يرجع إلى أن للأولى في الإنجليزية عنصرا لا يوجد في الثانية . هذا العنصر هو أن sheep تطلق على الضأن الحي ، أما فتطلق mouton على الضأن المذبوح .[4]

4 . الرأسية والأفقية Syneagmatics and Paradigmatics :

إن وصف اللغة يتم عن طريق كشف العلاقات بين الوحدات اللغوية المختلفة – الأصوات ، الحروف ، المعاني ، الأشكال . ويتم وصف هذه العلاقات عن طريق مستويين : مستوى رأسي Paradigmatic ومستوى أفقي Syneagmatic.[5]

إن العلامة تتقابل مع علامات أخرى تأتي قبلها أو بعدها في الجملة ، فعلاقتها مع العلامات السابقة عليها أو التالية لها علاقة أفقية Syneagmatic ، أي إنها علاقة خطية بين القواعد في الرصف اللغوي . مثل العلاقة بين الكلمات في الجملة . وهذه هى العلاقة بين العناصر الموجودة في الرسالة اللغوية .

5 4 3 2 1

فعلى سبيل المثال : البطلة الرياضية أحرزت إنجازا دوليا

نلاحظ هنا في هذا المثال أن هناك علاقة أفقية بين الصفة الرياضية وبين الاسم البطلة . كما أن هناك علاقة بين الاسم البطلة والفعل أحرزت ، وبين

الاسم إنجازا والصفة دوليا . (6)

أما المستوى البراديجماتي هو عبارة عن وحدات لها خصائص مشتركة من ناحية المعنى أو الشكل يمكن استبدالها في سياق معين ، أي أن العلامة تترابط مع علامات أخرى ، سواء أكانت مختلفة أو متشابهة لها .

مثال على ذلك : { صنع / أصلح / أنتج / طور } محمد السيارة .

وتشبه هذه العلاقة هنا مركز التجمع الذي يتجمع حوله الكلمات المترابطة معها . ويبدو أن علاقة الترابط هنا تشير بوضوح إلى حقيقة نفسية . لذا استبعد دو سوسير هذا المصطلح وأحل محله مصطلحا آخر لا يحمل طابعا نفسيا وهو مصطلح براديجماتي Paradigmatic . ويشار الآن إلى هذا التقسيم بأنه يشمل اتجاه رأسي واتجاه أفقي . ولم يميز دو سوسير بين هذين الاتجاهين بشكل واضح ، ويميل اللسانيون البنيويون إلى التمييز بينهما في ضوء اللغة والكلام، فالنظام البراديجماتيك أو الاتجاه الرأسي ينتمي إلى اللغة والنظام السنتيجماتيك أو الاتجاه الأفقي ينتمي إلى الكلام . فالباب والغرفة اسمان ينتميان إلى الاتجاه الرأسي لأنهما من الأسماء التي تنتمي إلى اللغة العربية ، وعندما أقول : باب الغرفة فإنني ألاحظ أنهما ينتميان إلى الكلام . (7)

وبالتالي فالبراديجما تشمل إذن الوحدات اللغوية التي تكمل الفضاء الموجود في الجملة بعد أن يتم حذف كلمة ما بدون أن يقوض البناء التركيبي لها . فإذا نظرنا في المثال السابق ،نجد أن أي كلمة يمكن أن تكمل الفضاء الموجود في الجملة بعد حذف كلمة الرياضية . فهذه الكلمة يمكن استبدالها بــ الجميلة ، الموهوبة أو أي وحدة لغوية (تنتمي للصفات) تؤدي معنى الصفة وتكون مناسبة من الناحية الدلالية للاسم الموصوف ، حيث أن قيمة أي وحدة لغوية في المستوى البراديجماتي يتم تحديدها عن طريق علاقتها بالوحدات الأخرى في الجملة . (8)

البطلة ـــــــــــــــــــــــ أحرزت إنجازا دوليا .

الاتجاهات اللسانية التي أعقبت دو سوسير :

وعند دراسة المدارس اللغوية آراء دو سوسير قسموا اللغة إلى عدد من المستويات : الأصوات والصرف والنحو . ولم تربط هذه الصورة بالصواب أو بالخطأ .

وقد حدث أن اهتم عدد من المدارس اللغوية بمسائل التركيب ، وركزت على دراسته دراسة شكلية أي بعيدة عن المعنى ، واهتم عدد آخر من هذه المدارس بدراسة المعاجم وركزت على الاقتران والمصاحبة ، ولكن لم يحدث ربط بين النحو والمقصود به التركيب هنا والدلالة . (9)

مدرسة براغ :

اهتمت هذه المدرسة بدراسة مفهوم اللغة على أنها نظام واعتبرت اللغة نظاما اتصاليا ، لأن اللغة من إنتاج النشاط الإنساني ، ومن ثم تكون اللغة نظاما من أنظمة وسائل التعبير المناسبة للتوصل إلى قصد معين . ويقصد بالنظام اللغوي علاقة الوحدة المدروسة بنظائرها في نفس المستوى للتوصل إلى وظيفة هذه الوحدة التي تميزها عن غيرها من سائر الوحدات الأخرى . فعلى مستوى الأصوات مثلا يتطلب النظام دراسة الوحدة الصوتية المحددة وعلاقتها بالوحدات الصوتية الأخرى داخل اللغة . وتمتاز هذه الوحدة بأنها وحدة عقلية وليست وحدة فوناتيكية ، تبعا لدو سوسير الذي ميز بين اللغة والكلام . ووظيفة الوحدة العقلية أن تميز معنى كلمة عن معنى كلمة أخرى . وعلى مستوى الصرف نجد أن الوحدات الصرفية الوظيفية هي المسئولة عن تقسيم المفردات إلى مقولات نحوية ، مثل اسم وفعل وصفة وظرف ، وتقسيم التراكيب إلى تراكيب اسمية وتراكيب فعلية ووصفية وظرفية ، وعلى مستوى التركيب نجد أن الوظيفة هي التي تميز بين تركيب الإسناد ، وتركيب التعلق ، وتركيب النسبة أي الإضافة ، وتركيب النعت .

وكان لهذه المدرسة تأثير كبير في موضوعين : الفونولوجيا والتركيب الوظيفي للجملة . فقد أوضح تروبتسكوي أن الدراسة الفوناتيكية تدرس المدلول في الكلام أما الدراسة الفنولوجية فتدرس المدلول في اللغة ، وتعتمد الدراسة هنا على الوظيفة . وأوضح أن الوظيفة تتطلب تقابلا ، أي اختلافا في المعنى ، وأقل وحدة تمييزية هي الفونيم ، وتتحقق بواسطة الاختلافات .

التركيب الوظيفي للجملة :

اللغة في رأي براغ – وسيلة لمعرفة الواقع غير اللغوي ، واستعادته . هذا هو الذي انتج مفهوم التركيب الوظيفي للجملة عند هذه المدرسة . لقد درس ماتيوس مكونات الموقف الكلامي وأوضح أنه يتكون من ثلاثة مكونات هي المتكلم والمتلقي والرسالة . وينطلق ماتيوس من نقطة مهمة هي إيضاح أن الوظيفة التواصلية للجملة هي نقل خبر جديد . وهذا يختلف عن البنية الشكلية للجملة التي تتحدد في المسند إليه والمسند . هذا يعني أن البنية الوظيفية للجملة تهتم بالبنية التي تحمل معلومات تتكون من نوعين من هذه المعلومات ، معلومة

قديمة يعرفه المتكلم والمتلقي معا ، أطلق عليها ماتيوس التيمة Theme ، ومعلومة جديدة أطلق عليها ريما Rhema . هذه المعلومة يعرفها المتكلم ولا يعرفها المتلقي ، ومن ثم تكون جديدة بالنسبة إليه . ومن ثم فالجملة تصدر من المتكلم لإعطاء المتلقي معلومات جديدة لم يعرفها من قبل . (10)

مدرسة كوبنهاجن :

لقد طور هذه المدرسة هيلمسليف ، ووضع نظرية الجلوسماتيك Glosse-matics . وأحد الملامح الأساسية للجلوسماتيك التي تميزها عن الاتجاهات البنائية الأخرى هو البحث عن بنية قياسية في مجال المضمون ، وذلك بافتراض مستويين : مستوي المضمون Content Plane ومستوى التعبير Expression Plane ، وداخل هذين المستويين يفرق هيلمسليف في إطار نموذجه الثنائي للعلامات مرة أخرى بين الشكل والمادة ، وينتج عن ذلك أربع طبقات يلحق بكل منها علم . (11)

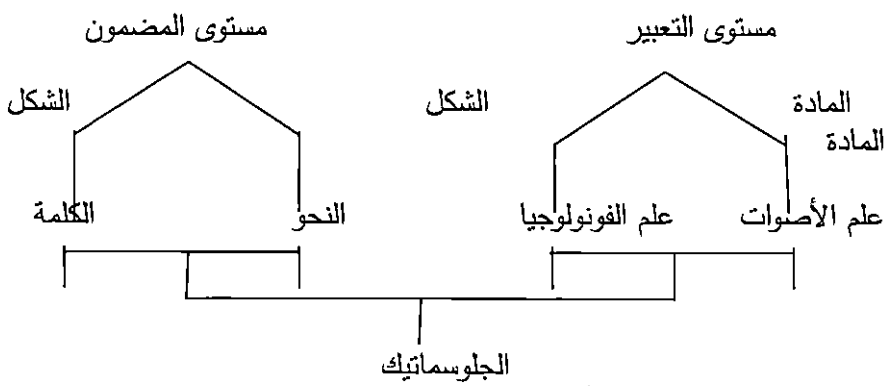

يقصد بالمادة الأشياء المادية ويقصد بالشكل التجريد الذي يقوم به اللغوي ، فمادة التعبير هى الأصوات وشكل التعبير هو النظام الفونولوجي . ويقصد بمادة المضمون الكلمات المعجمية أما شكل المضمون فيقصد به الأحكام النحوية التي يستنبطها اللغوي من الكلام . إذن الشكل هو الجانب اللغوي ، والمادة هى الكلام المسموع أو المكتوب .

ويركز التحليل اللساني على الشكل ، ويهتم بدراسة العلاقات أي الوظائف أو التبعية . والوظائف ثلاثة أنواع ، النوع الأول وفيه شئ يتوقف على شئ آخر مثل المبتدأ والخبر . والنوع الثاني من الوظائف يفيد التحديد مثل الاسم النكرة والمعرفة . والنوع الثالث يفيد التركيب مثل المضاف والمضاف إليه .

إن الوظيفة إذن هى التي تضع الخطوط الأساسية بين الواقعة ويقصد بها الكلام المنطوق أو المكتوب والنظام ويقصد به اللغة .

المدرسة الأمريكية :

لقد أوضح سابير أن الكلام لا يمثل بالضرورة الحقائق اللغوية ، أما اللغة فتكمن في التصنيف والأنماط الشكلية التي يستنتجها الباحث من الكلام . وأوضح أيضا أن الصوت الذي تنتجه أعضاء النطق ليس عنصرا لغويا ، وإنما هو عنصر فوناتيكي ، ولا قيمة نفسية له . هناك نظام صوتي داخلي يتصل بوعي المتكلم ، والنظام هو الذي يوضح وظيفة هذا الصوت المرتبط بالفكر . فالوظيفة هي التي توضح لنا قيمة صوت الحرف وتتضح القيمة في التأثير على المعنى . هذا هو الفرق بين الصوت فوناتيكيا والصوت وظيفيا ، لذلك عرف الفونيم بأنه وحدة وظيفية تتضح في نموذج مرتب بشكل محدد .

ولقد ميز بلومفيلد بين الصيغ المرتبطة والصيغ الحرة ، وأوضح أن العنصر الذي يحتوي على الصيغتين هو عنصر مركب مثل الولد ، والعنصر الذي يدل على معنى هو مورفيم . وأوضح أن ترتيب الصيغ يعني النحو ، فالنحو إذن يهتم بترتيب الصيغ . ويطلق بلومفيلد على ملمح الترتيب النحوي مصطلحا محددا هو تكسيم Taxeme ، ويقول أن التكسيم في النحو يساوي الفونيم في المعجم . ويطلق بلومفيلد على الترتيب والمعنى الناتج عن هذا الترتيب مصطلح تجميم Tagmeme ومعناه القالب . [12]

المدرسة الوظيفية في أوروبا :

يعد رومان جاكبسون من وارثي الفكر اللغوي لدى مدرسة براغ . وقد اهتم بالوظيفة اهتماما بارزا في أعماله ، إذ كان منطلقه في تحديدها هو الارتكاز على العناصر المكونة لعملية الاتصال .

الاتصال اللغوي – العناصر والوظائف :

عناصر الاتصال اللغوي [13] :

1. addresser مرسل الرسالة .
2. addressee متلقي الرسالة .
3. utterance الرسالة .
4. contact قناة الاتصال .
5. code الشفرة .
6. context السياق . [14]

الوظائف الاتصالية اللغوية :

فقد ميز ست نواح للوظيفة اللغوية ، الثلاث الأولى منها تتعلق بالمتكلم والمتلقي والسياق ، يقابلها الاتصال والرمز والرسالة ، وبناء على ذلك توجد ست وظائف هي على الترتيب :

1 . الوظيفة التعبيرية emotive : وتتمحور حول المرسل ، إذ تهدف إلى التعبير عن موقفه – وهي تعتمد على أدوات ، كأدوات التعجب مثلا . كما أنها غير مقيدة بعلامة لغوية ، فمن الممكن أن تكون أيضا تعبيرات ، مثل : يا

لجمال المنظر ! – يالروعة ! .

2 . وظيفة عقد النية conative : تتمحور حول المرسل إليه . وتمثلها عدة نماذج ، مثل نموذج النداء والأمر ، والنهى والطلب . يتميز عن الخبر المرجعي بأنه ليس له قيمة حقيقية . مثل : أغلق الباب . وأحيانا تستطيع نغمة أو نبرة معينة أن تجعل الرسالة المرجعية معرفية مثل : يوجد هنا كرسي .

3 . والوظيفة المرجعية referential ، ويمثلها الأقوال الفعلية ، وضمير الغائب في الحالة الخبرية . وتتمركز حول المرجع . ويتحدد المرجع من خلال الإحالة على السياق . حيث ينقل معلومات عن الواقع الخارج لغوي .

4 . وظيفة المجاملة (اقامة الاتصال) phatic : تتمحور حول قناة الاتصال ، وتمثلها العلامة (نعم) في الحديث التليفوني لإيضاح أن الشخص المتحدث إليه تلفونيا يتابع الحديث . أو أن الخط لم يُقطع . (ألو ، هل تسمعني ؟ ، وبذلك ، صباح الخير ... إلى آخره) .

5 . والوظيفة غير اللغوية (الفوق لغوية) meta-linguistic : وتتركز على الشفرة ، وتتمحور حول لغة الخطاب ذاتها ، مثل السؤال عن تفسير كلمة وردت في الخطاب ، أو تحديد مرجع اسم قد ورد فيه أيضا . وقد خصصت للتأكيد على أن المرسل والمتلقي يستخدمان نفس الشفرة أو لإيضاح تفاصيل معينة عن الشفرة (تفسير ، طلب إيضاح ... إلى آخره) مثل : إلى ما ترمي ؟ ، ماذا تقصد ؟ .

6 . والوظيفة الشعرية poetic : وتتركز على الرسالة ، ذلك أن دراسة الشعر تستخدم المنهج الشكلي والأسلوبي ، واللغوي يعتمد على تحليل تركيب الرسالة الشعرية نفسها . (15)

واللغة ، من وجهة نظر جاكبسون ، يتحكم في توظيفها إرادة المرسل ؛ ولذلك جعل كل عنصر ، من هذه العناصر ، مرجعا في تحديد واحدة من الوظائف

أما بوبر فتنحصر وظائف استخدام اللغة عنده في أربع وظائف ، هى الوظيفة التعبيرية – الوظيفة الإشارية – الوظيفة الوصفية – الوظيفة الحجاجية . (16) وأما هاليداي فيرى من وجهة نظره الوظيفية أن هناك ثلاث وظائف كبرى هى : الوظيفة التصويرية ، والوظيفة التعاملية ، والوظيفة النصية .

ويربط ليتش بين الوظائف عند كل من بوبر وهاليداي ، إذ يرى أن وظيفتي هاليداي : التصويرية والتعاملية تتضمنان وظائف بوبر الأربع ؛ لأن الوظيفة التصويرية في نظره مزيج من مستويين أحدهما : تجريبي والآخر منطقي ، وهو ما يقابل وظيفتي الوصف والحجاج عند بوبر ، في حين تقابل الوظيفة التعاملية ، عند هاليداي ، وظيفتي التعبير والإشارة عند بوبر . (17) وتكوّن هذه الوظائف الثلاثة شكلا هرميا لتوليد الخطاب .

وقد لمس براون ويول هذا التعدد في معالجة الوظائف اللغوية والغموض المصاحب في المصطلح ؛ لذا اختارا مصطلحين عامين لتحديدها بوظيفتين هما : الوظيفة التعاملية [18] ، والوظيفة التفاعلية [19] ، وقد استخدما هذين المصطلحين لأنهما يهتمان ، أساسا ، باللغة في سياق استخدامها . [20]

وبالرغم من هذا لا يمكن إغفال إحدى أهم وظائف اللغة ، وهى وظيفة التعمية ، إذ يلجأ منتج الخطاب إلى استخدامها لحجب مقاصده . إن رصد هذه الوظائف اللغوية محاولة للربط بين الوظيفة والاستخدام [21] الذي يؤدي إلى دراسة التأويل تداوليا .

بلورة البنائية الأمريكية :

إن اللسانيات البنائية الأمريكية تبلورت بشكل واضح ، وأصبحت أكثر تحديدا من المعنى الذي ساد في مرحلة دو سوسير ، تُعزى هذه البنائية إلى مرحلة ما بعد بلومفيلد ، وهو التي تسمي بالبلومفيلدية .

ارتبطت البنائية الأمريكية بالسلوكيين الذين يعتمدون على فكرة الواقع اللساني الذي أمامهم ، ومن ثم فموضوع اللسانيات عندهم هو تقطيع السلسلة النطقية وإعادة تجميع القطع الناتجة ، وهاتان العمليتان التقطيع والتجميع يتطلبان التصنيف . ويقوم التصنيف على أساس تطابق التشابهات الجزئية في السلسلة النطقية من ناحية وحصر الاختلافات بينها . من ناحية أخرى ، لوحظ أن هذه الاختلافات تعتمد على التوزيع التكاملي . لقد أدى التصنيف إلى تحديد مقولات مختلفة ، وتم التوصل إلى ذلك بربط السلسلة النطقية التي يُنظر إليها على أنها مقولة مميزة بالمعنى ، ذلك أن المعنى هو الذي يجعلها مميزة . ومما سبق يتضح أن التوزيعين ربطوا المعنى بالاستخدام ، والاستخدام عندهم هو مجموع السياقات اللغوية التي تستخدم فيها الكلمة .

وقد أوضح هاريس أن دراسة التوزيع في ضوء المستوى الفونولوجي والمورفولوجي تعتمد على تجزئة الفونيم والمورفيم إلى عناصر ، ثم تجميع هذه العناصر . ولاحظ أن التجميع يعتمد على موقع العنصر بالنسبة إلى العنصر الآخر . ومن ثم استطاع أن يحكم على عنصرين مختلفين يحتلان نفس الموقع بأنهما يتبعان للصنف ذاته .

من هنا استنتج هاريس أن التوزيع يساعد على وصف كل لغة دون إقحام ملامح أخرى من التاريخ أو المعنى ، ويوصف توزيع كل عنصر بأنه مجموع كل المواقع التي يشغلها هذا العنصر ، وهذا ما سبق أن وصفناه بأنه التوزيع التكاملي .

انتقل هاريس بعد ذلك إلى تحليل الجملة ، وميز بين نوعين من الجمل : جملة نواة ، وجملة مشتقة من الجملة النواة . ثم أوضح أن تحليل الجملة النواة

يهدف إلى إيضاح مكونات هذه الجملة المباشرة . قام هاريس كذلك بتطبيق طريقة التحويل في مقالة له ، بعنوان الوقع المشترك والتحويل في التركيب اللغوي ، ينطلق فيه من التوزيع والمواقع المشتركة للعناصر اللغوية ، فالتحويلات هي علاقات شكلية بين بنيتين للجملة ذاتها ، ولا يمكن أن يعد تركيب ما تحويلا لتركيب آخر ، إلا حين يكون لكلا التركيبين الكم ذاته من العناصر.[22]

وظلت الأمور هكذا إلى أن ظهر حومسكي واعتمد على الأساس العقلي والأساس الرياضي في النحو . وهذا الأساس الرياضي ساعد تشومسكي على إنتاج نمط نحوي يمتاز بنظام دقيق من القواعد ، هذه القواعد الدقيقة تسمى النحو التوليدي .[23]

وقد اهتم بتكون الكفاءة اللغوية ونموها عند الطفل . من هنا كانت العناية بتفسيرها ، وبهذا فالنحو التوليدي ينحو إلى التجريد ؛ مما يستدعيه ، في بعض التطبيقات إلى اصطناع الجمل ، كما فعل تشومسكي في عبارته المشهورة : تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون باختناق .

إذ تتصف هذه الجملة بموافقتها لقواعد النحو ، لكنها لا تدل على معنى مفهوم [24] ، وقد كان هذا من المآخذ على النظرية التوليدية في أول مراحلها ؛ مما استدعى العناية بالمكون الدلالي في المراحل اللاحقة ، ومن ثم نادى بوجوب مزج التركيب بالمعنى ، وبالتالي وصف منهجه بالنحو التفسيري .[25]

كما ميز تشومسكي أيضا بين الكفاءة competence والأداء performance ، ويقصد بالكفاءة النظام اللغوي الكامن في عقول الذين يتكلمون لغة واحدة ، وهذا نظام داخلي ، ويقصد بالأداء السلوك الفعلي أو الممارسة العملية للنظام الذهني . وهو بالطبع خارجي .

وعلى هذا فالكفاءة تعني المعرفة الضمنية للمتكلم / للسامع بلغته ، ويعني الأداء الاستخدام الفعلي للغة في مواقف معينة . لذلك يجب على النحو أن يكون تقريرا عن الكفاءة ، إذا أراد أن يفسر قدرة المتكلم على فهم جمل غير محدودة في لغة ما وعلى إنتاجها . الكفاءة إذاً نظام والأداء سلوك . والأداء ليس تحقيقات ثابتة للموضوعات المجردة للغة ، وذلك أنه يتبع مقاييس أخرى ، مثل القدرات والسياقات والمتكلمين ، ومع ذلك يجب أن يُدرس الأداء في ضوء الكفاءة .

وقد أوضح أن المقبولية تتبع الأداء والنحوية تتبع الكفاءة . هذا يعني أن النحوية هي التي تحدد المقبولية ، وهكذا يعد النحو تقريرا عن كفاءة المتكلم ، وهذه الكفاءة معلومة من معرفته اللغوية ، وهذه المعلومة لا يتم الحصول عليها من الملاحظة المباشرة ، ولا من المواد اللغوية المقدمة ، ولكن يتم الحصول عليها من الحدس اللغوي لابن اللغة ، فالنحو ليس إلا نظرية للحدس اللغوي ، ويجب أن يُختبر النحو في كفايته بمعيار المعرفة الضمنية لابن اللغة أو بكفاءته

. إن المعرفة الضمنية أو الكفاءة ترتبط بالحدس إذا .

وكان على هذا النحو أن يدرس الغموض ويوضح أسبابه . فدراسة الغموض دفعت حومسكي إلى عدم الاكتفاء بالتحليل إلى الأجزاء المباشرة ، واقترح ثلاث بنى لتكوين الجملة هى : البنية العميقة والبنية التحويلية والبنية السطحية . والبنية التحويلية هى التي ستفسر الغموض . [26] وتكمن القوة التفسيرية للنحو التوليدي حسب حومسكي في أنه يجب أن تكون قادرة على تفسير الغموض .

ومن هنا حدث التحول مع قيام النحو التحويلي لناعوم تشومسكي في الخمسينات ، الذي وضع الجملة كوحدة الوصف الأساسية (الوحدة اللغوية العليا) ورأى في شكل الكلمات وفي الأصوات تبلور الذي حدث عن طريق اجراءات في تطور الجملة من شكلها الأساسي الخفي " البنية العميقة " لشكلها الظاهر الواضح للعين أو المسموع للأذن ، " البنية السطحية " . [27]

وهكذا بدأ التحول في النظرية اللسانية في الخمسينات تحولا جذريا مع تمييزه حومسكي بين البنية العميقة Deep Structure – الذي يشير إلى بنية صرفية معينة ليس وفقا للنبر وإنما وفقا للمعنى – وبين البنية السطحية Surfare Structure للجملة . هذا التمييز وضع أساس النظرية التوليدية – التحويلية التي أوضحت أن الأبنية التي على السطح هى تحولات للمقولات النحوية النظرية الموجودة في العمق وليس على السطح . إن هذا الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية يفعّل أو ينشط ، وفقا لهذه النظرية ، قواعد تحويل مختلفة التي تتيح للمتكلم انتاج جمل سطحية من أنواع مختلفة . [28] فبرز مفهوم النحو التحويلي الذي يرى أن اللغة عبارة عن مجموعة من الجمل العميقة ، مما جعله يرد عددا من الجمل المنجزة إلى جملة ذات بنية عميقة ؛ وذلك ليفسر محدودية الأصل ولا نهائية المنجز .

وهكذا نجد أن التركيب التقليدي يتمحور حول الوصف ، في حين أن التركيب التوليدي يتطلب بناء مجموعة قوانين تكون وظيفتها إنتاج قاعدة الجمل الممكنة في اللغة المعطاة . والإسهام الذي خرق اللسانيات التوليدية هو كشف حقيقة لغوية ، وهى : أنه توجد فيما وراء الجمل الموجودة في اللغة أبنية أساسية تحدد سلوك هذه الجمل ودلالاتها .

وفي السبعينات ، على خلفية نظرية النحو التوليدي ، ازدهرت نظرية الدلالة التوليدية – التي كان لها دورا فاعلا في تطور البراجماتية اللغوية – حيث تطورت على يد ماكولي ولاكوف وآخرين . وقد وضعت الدلالة التوليدية بنية دلالية مجردة كالبنية العميقة للجملة . ففي هذه البنية ليست هناك قوانين تركيبية ولا قيم معجمية ، بل كيانات مجردة . وهذه البنية المجردة ، ناقصة الأداء

المعجمي والترتيب التركيبي تصبح رسالة لغوية عن طريق مجموعة من التحويلات الدلالية التركيبية . (29)

إن المبدأ الأساسي في مدرسة علم الدلالة التوليدية هو أن المكون القاعدي الأساسي في القواعد التوليدية التحويلية مرتبط مباشرة بالبناء الدلالي . ونتيجة لهذا التصور دمج النحو بالمعنى بحيث لا يكون فصل الواحد عن الآخر في نهاية المطاف : حيث بدا علم الدلالة مجرد المستوى الأعمق من النحو . إلا أن روح المغامرة نفسها التي قادت إلى وضع علم الدلالة في قلب القواعد أدت أيضا إلى إدراج اهتمامات البراجماتية ضمن علم الدلالة ، بالتالي ، وعن طريق القياس ، كجزء من علم النحو . وهكذا ، بدأ التعامل مع المعنى كاملا ضمن شروط تشكيلة البنية الشبجملية " للنحو العميق " التراكيب التحتية".(30)

وبالتالي نجد أن هناك اتجاهين في الدرس اللغوي المعاصر : اتجاه يربط النحو بالدلالة ، ويرى أن النحو هو الأساس وأن الدلالة عنصر تفسيري هذا الاتجاه تبناه حومسكي . واتجاه آخر يرى أن الدلالة هى التركيب العميق للجملة وأن النحو ليس سوى وسيلة لتحويل التركيب العميق إلى تركيب سطحي وهذا هو الاتجاه المسمى بالدلالة التوليدية . (31)

وفي أعقاب ذلك لاحظ المنافسون لحومسكي أن إضافة الدلالة إلى النحو الشكلي لا تكفي للتفسير اللغوي لأن تفسير هذه المدرسة اقتصر على قواعد عقلية صرفة ولم يعتمد على الاستخدام لذا فالوصف اللغوي غير مفيد .

فكون هذه الدراسات قد وقفت عند حد الجملة ، فقد قصرت عن دراسة بعض الظواهر مثل ظاهرة الإحالة وتحديد مرجعها ، الإضمار ، الروابط الخطابية . والسؤال هنا : إذا كانت الجملة يتوقف معناها على الجمل السابقة واللاحقة عليها (السياق) ، فهل لم يرى اللغويون أن الجملة ليست ذات صلة بالظروف التي قيلت فيها ، ومن أجل ماذا قيلت ... إلخ . وظل العمل على هذه الأسئلة الأخيرة . وهذا ما أدى إلى دراسة اللغة في مستوى أكبر من الجملة ، وهى دراسة النص/الخطاب

وقد بدأ منذ السبعينات إضافة محور بحث جديد هو : الوحدة اللغوية ما وراء الجملة . ومنذ ذلك الوقت بدأت الإشارة إلى القيمة الإتصالية للغة كنشاط اجتماعي . إذ أصبح البحث فيها غير مقيد بحدود الجملة ، وبدأت في دراسة الرسائل في سياقها اللغوي وغير اللغوي . (32)

الاتجاه التواصلي :

مما سبق يتضح للباحث أن الدراسة اللغوية تجاوزت الدراسة الشكلية التي كانت قاصرة على المفاهيم الصورية ، وأصبحت تهتم بالخطاب المنطوق أو المكتوب لتصل إلى كيفية التواصل بين المتكلم والمتلقي وتنتقل إلى العوامل غير

اللغوية (المعاني الضمنية) .

وهذا ما دعا الباحثين إلى دراسة استخدام اللغة في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي ، مما استدعى دراسة السياق بشقيه الداخلي والخارجي ، وتأويله ؛ إذ إن لكل رسالة توجد مجموعة من الافتراضات المسبقة presuppositions التي تحدد قيمته الاتصالية المحددة . (33)

وقد أدى هذا التطور إلى سلسلة الإسهامات في البحث اللساني منها : اللسانيات الإجتماعية ، تحليل الخطاب والبراجماتية اللغوية . وقد تمثل الاتجاه التواصلي في ضم الدراسات التداولية إلى اللسانيات الاجتماعية وانتقالها من دراسة الجملة إلى دراسة النص والاهتمام بتحليله ؛ من خلال ربطه بسياق إنتاجه .

ومن ثم اهتم التحليل بمعرفة وتحديد الاستراتيجيات التي يوظفها المرسل لتحقيق أهداف معينة ، والعوامل التي تتدخل في اختيارها ، وتأثير نظام اللغة المستخدم في تشكيل الخطاب . وكذلك استراتيجيات المتلقي في تأويل الخطاب كي يصل في النهاية إلى المعنى الذي يرمي إليه المتكلم . فقدرة طرفي الخطاب التواصلية تكمن في معرفة القواعد العامة التي تمكنهما من تحقيق أهداف التواصل وتأويل الخطاب ، ومنها القواعد اللغوية في مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية. (34)

وبهذا ، يتضح الفرق بين هذين الاتجاهين ، وذلك بأن الاتجاه الأول يُعنى بدراسة النظام اللغوي معزولا عن سياقه . أما الاتجاه الآخر فيُعنى بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي . كما هو موضح في الشكل الآتي : (35)

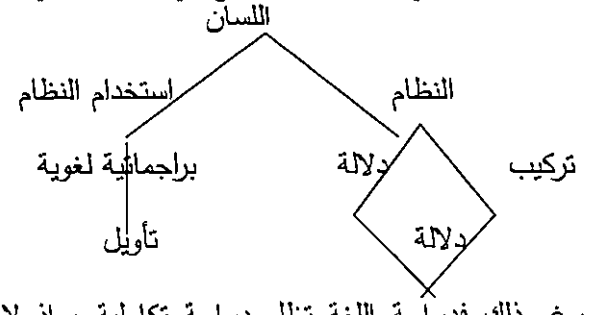

ورغم ذلك فدراسة اللغة تظل دراسة تكاملية ، إذ لا يستطيع الدارس الاستغناء بأحد الاتجاهين عن الآخر مثلما هو الحال عند مستخدم اللغة ، الذي لا يستطيع أن ينتج خطابا دون أن يتوفر على الكفاءة اللغوية ، وأن يوظف كل مستوياتها فيه . وإنما كان التفريق من وجهة نظر إجرائية ؛ إذ يقف أصحاب الاتجاه الأول عند حدود معينة ، بينما يتقدم أصحاب الاتجاه الآخر إلى حدود

أوسع

ولذلك وُصفت اللغة بأنها ذات بعدين : بعد داخلي وبعد خارجي ، أي إن التفسيرات النحوية هى شكلية أساسا ، في حين تكون التفسيرات التداولية هى وظيفية أساسا .[36]

ومن هنا أدخل لاكوف البراجماتية التي تهتم باللغة في الاستخدام . إن البراجماتية اللغوية مهدت الطريق لدراسة الكلام / الخطاب ، حيث تهتم بالتغييرات التي تطرأ على بناء الجملة وتؤثر على معناها .

البراجماتية اللغوية (Pragma-Linguistics) :

إن البراجماتية اللغوية قد دخلت الخريطة اللغوية مؤخرا . فقد أصبحت عاملا مهما في التفكير اللغوي في السبعينات ، ومنذ ذلك الوقت ، تطورت كحقل مهم في الدراسة . وسنتناول هنا الاتجاهات الأساسية في تطور البراجماتية الحديث – منذ بدايتها كموضوع ثانوي – بين أعراف الفلسفة واللغويات ، إلى اهتمامها الأوسع حاليا في مجال التخاطب اللغوي في سياقه الاجتماعي والثقافي.[37]

لقد تم إدخال مصطلح البراجماتية إلى اللسانيات وإلى فلسفة اللغة عن طريق تشارلس موريس عام 1938 . وتمثل البراجماتية اللغوية إحدى المستويات الثلاثة للسيميوطيقا أو لعلم الرموز: التركيب ، الدلالة والبراجماتية اللغوية . فالبراجماتية هى دراسة الرموز / التعبيرات اللغوية وعلاقتها بمستخدميها ومؤوليها ، بينما يمثل علم الدلالة دراسة الرموز وعلاقاتها بما تشير إليه ، أما علم التراكيب / النظم فهو دراسة علاقة الرموز أو التعابير وعلاقاتها ببعضها بعضا[38]

ومن ثم أصبحت معالجة أي خطاب تأتي على هذا الترتيب : المعالجة التركيبية ثم المعالجة الدلالية ثم المعالجة التداولية وصولا في النهاية إلى التأويل . وبتعبير آخر ، تمثل مخرجات التركيب مدخلات للدلالة ، وتمثل مخرجات الدلالة مدخلات للتداولية ، ومخرجات التداولية تؤدي إلى التأويل .

هناك ثلاثة فلاسفة بوجه خاص شكلوا البراجماتية اللغوية أثناء تطورها في السبعينات وهم : جون أوستن ، جون سيرل وجرايس .

إن لرأي أوستن القائل بأن الظواهر اللغوية هى أساسا أفعال أدائية أو إنجازات – ميزة إيجابية على المناهج التي تعتمد قيم الحقيقة ، لأنه يدعونا إلى تجاوز اهتمام عالم المنطق التقليدي المحدود بالمعنى الإخباري فقط . وقد دفع أوستن بهذه الفكرة خطوة للأمام عندما قال إنه يمكن للفظ الواحد أن يؤلف في الوقت ذاته ثلاثة أنواع من الحدث :

1 . حدث التعبير .

2 . حدث إنجازي .
3 . حدث تأثيري .

لقد ركز أوستن على النمط الثاني من هذه الأحداث . أما النمط الأول (فعل التعبير) فينضوي تحت علم الدلالة المعتمد على شروط الحقيقة . ويقع النمط الثالث (التأثير) بدقة خارج تحريات المعنى واللغة لأنه يتعامل مع سبب اللفظ أو نتيجته . ويعتبر النمط الثاني هو محور البراجماتية أي المعنى في السياق . وهذا المصطلح (الفعل الإنجازي) يستخدم بشكل واسع الآن ليضم ليس فقط المؤشرات اللغوية الصريحة للقصد أو الرغبة الإنجازية ، ولكنه يضم أيضا المؤشرات غير اللغوية المصاحبة للغة (حركة اليدين والعينين ... إلخ).[39]

ثم جاء سيرل وأيد وجهة نظر أوستن ، وهي أن الكلام في مجال التواصل هو بمثابة فعل كلامي أو حدث كلامي . أما جرايس فإنه اختلف عنهما ، إذ كان مهتما بتوضيح الاختلاف بين ما يقال وما يعني . " ما يقال" هو ما تعنيه الكلمات ظاهريا . أما " ما يعني " فهو التأثير الذي يحاول المتكلم معتمدا إضفاءه على المستمع من خلال إدراك الأخير لهذا القصد ، وهو ما يسمى بـــ المعنى الضمني . وهكذا فقد أوضح جرايس مفهوم المعنى الضمني ، وهو المعنى الذي يستفاد من النص ، ولا يُعبر عنه الألفاظ المستخدمة في النص . كما تناول أيضا فكرة مبدأ التعاون .

إن مبدأ التعاون هو ببساطة وسيلة لشرح كيفية وصول الناس للمعاني . فمن الممكن ألا نختار مبدأ التعاون . أو يمكننا أن نخالف مبدأ ما عن غير قصد . والأهم من ذلك ، يمكننا أن نخرق بوضوح أحد المبادئ (يسمي جرايس هذا الأمر بـــ الاستهزاء بالمبادئ) كي تقود المخاطب للبحث عن معنى ضمني غير واضح . وهذا النوع الأخير من الاستغلال لمبدأ التعاون مهم عند جرايس فيما يسميه بـــ " الاستلزام التحاوري " [40] أي الاستلزام البراجماتي الذي يكتشفه المخاطب من خلال افتراضه التزام المتكلم الضمني بمبدأ التعاون . إنه الخرق المبادئ الأساسية الذي يؤدي إلى توليد الاستلزام التحاوري .[41]

ولكن السؤال هنا : هل تتعلق البراجماتية اللغوية بدراسة الكفاءة أم بدراسة الإنجاز ؟

1 . هناك من يرى أن البراجماتية اللغوية لا تتعلق بدراسة الإنجاز بل بدراسة الكفاءة . فلجوانب التداولية مشفرة في اللسان ، وفي اللسان نفسه تعليمات تحدد استعمالاته الممكنة . وهذه هي نظرية التداولية المدمجة .
2 . هناك رأي آخر – ممثله جرايس – يرى أن البراجماتية اللغوية هي نظرية في الإنجاز ، أي لا تُعنى القواعد التداولية بالكفاءة اللسانية للمتكلم ، بل تُعنى بمجموعة المعارف والقدرات على استخدام اللغة في سياقها . ومن ثم

هى دراسة للفهم والتأويل ، وليست دراسة للإنتاج اللغوي . [42]

ولكن يرى الباحث أن البراجماتية اللغوية هى دراسة في الكفاءة والإنجاز معا ، أي دراسة تكاملية ، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر . ومن ثم فالبراجماتية اللغوية ، يتمثل دورها في وصف الآليات غير اللسانية المتصلة بتأويل الأقوال في سياقها من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتمثل في وصف العلاقة بين الشكل والمعنى .

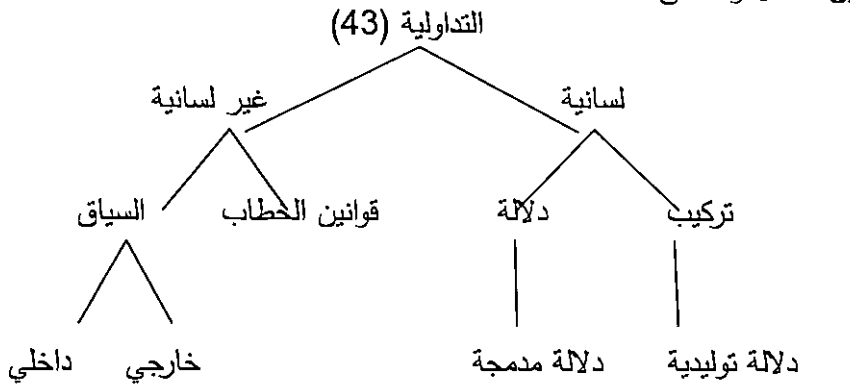

مجال البراجماتية اللغوية :

إن البراجماتية تؤول المعاني التي تمتلكها الألفاظ بالنسبة لمستخدميها ومؤوليها . وبالتالي ينظر إلى البراجماتية على أنها علاقة بين المتكلم والخطاب والمتلقي – غير أن علم الدلالة مهتم بالمعنى كعلاقة ثنائية بين الشكل ومعناه – فالمتكلم هو من ينتجه ، أما المتلقي هو الذي يحيه ؛ فالنص يستمد معناه بفضل المتلقي . ومع هذا لا يمكن الوصول للمعنى المراد دون معرفة المتلقي لسياق الموقف أو للسياق الخارجي . والسياق الخارجي يضم معرفة زمان ومكان الخطاب وأيضا تفسير التعابير الإشارية مثل زمن الفعل ، وأسماء الإشارة ، والظروف مثل هنا ، هناك ، الآن ، عندئذ . وبالتالي ، فإن مجال البراجماتية يجب أن يحدد بحالة كلامية لا تضم الخطاب ، والمتكلم ، والمتلقي فحسب ، بل سياق الموقف أيضا. [44]

وفي منتصف السبعينات ، تغير محور الاهتمام ضمن البراجماتية من محاولات شرح كيف يفسر مستخدمو اللغة اللا مباشرة في المعنى البراجماتي إلى شرح لماذا يستخدم المتكلمون اللامباشرة نفسها في المقام الأول . وتمثلت إحداها في أنه لا توجد ، بالطبع ، القدرة الكافية لدى المتكلمين في التعبير عن أنفسهم بشكل مباشر . وكذلك غالبا ما يقع المتكلمون في مسألة " تصارع أو تشابك

الأهداف " . وفي حالات أخرى ، يحدث أن المتكلم يرغب في قول وعدم قول شئ في الوقت نفسه . ولذلك فمن خلال استخدام الأسلوب غير المباشر ، يمكن للمتكلم أن يقول شيئا ويعني شيئا آخر ، وبذلك يترك لنفسه فرصة الانسحاب من المأزق في حالة ردة فعل غير متوقعة . إلا أن الأكثر شيوعا في استخدام الأسلوب غير المباشر هو لأسباب تتعلق باللطافة والتأدب . [45] وهذا ما جعل المتلقي يلجأ إلى التأويل ، للوصول إلى المعنى المراد .

التأويل Hermeneutics [46] :

ترجع كلمة تأويل إلى التراث الأغريقي ، إلى أفلاطون وأرسطو فضلا عن كتاب آخرين ، وترتبط بتيسير ما ليس في طاقة الإنسان وتحويله إلى صورة مفهومة . وهكذا نجد في التراث القديم فكرة الأداء البشري لرسالة الآلهة . ربما كانت الكلمة في التراث الأغريقي والعربي تردد أصداء ثلاثة هى المنطق المسموع والشرح والترجمة . وهذه الأصداء تجتمع حول حاسة واحدة . تقريب البعيد وإحالة غير المألوف إلى المألوف . [47]

إن تاريخ التأويل بدأ اهتمامه بتفسير الكتب المقدسة . ثم الاتجاه الفيلولوجي العام ، ويأتي بعدها علم الفهم اللغوي الأشمل ، ثم الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية ثم فنومنولوجيا الوجود والفهم الوجودي ثم طرق التفسير التي يستخدمها الإنسان للوصول إلى المعنى الكامن وراء الأساطير والرموز .

إن كل مرحلة من مراحل التأويل لها أهميتها التي تتجاوز طورا معينا من أطوار التاريخ . وأقدم الاتجاهات وأوسعها انتشارا هو التأويل أو التفسير الديني . إذ ترجع كلمة التأويل إلى العهد القديم وقواعد التعامل مع التوراه . وبالتالي فإن دراسة التأويل نبعت من تفاسير العهد القديم لإنها قامت على أساس مواجهة سلطة القراءة الأحادية للنصوص المقدسة . فكل كتاب مقدس يقوم على إعادة تفسير النصوص السابقة عليه هو تقييم جديد لكل ما سبقه كان يسمى تأويلا . وارتبطت كلمة التأويل خاصة بفكرة البحث عن المعنى العميق الخفي ، والتعامل مع الجانب الرمزي الذي يحتاج إلى أدوات خاصة . [48] وهذا فتح الباب أمام الهرمنيوطيقا واتسع مفهومها ، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى أن شمل كافة العلوم الإنسانية[49]

وليس من شك في أن التأويل تأثر بنمو الدراسات الفيلولوجية . ورأى علماء فقه اللغة المقارن أن التأويل يتعلق بدراسة المخطوطات القديمة وفهمها . ولكن ما لبث أن بدأت نظرية التأويل في ألمانيا منذ القرن الثامن عشر ، تفرق بين الدراسات الصماء لفقه اللغة والدراسات التي تهتم بكشف عمق باطني . ومن هنا اهتمت أبحاث التأويل الألمانية بتحول فقه اللغة تحولا جذريا من تجاوز الملاحظات الوصفية إلى أسئلة باطنية والسعى إلى كشف الخفي . [50]

لقد كانت الاتجاهات السائدة ، ومنها النظريات التجريبية والعقلية ، ترى أن الموضوع حاضر في العالم الخارجي ، وما على الوعي إلا أن يتلقاه سلبياً . ومن هنا ظهر اتجاه جديد ، على يد هوسرل ، كانت له جذوره وإرهاصاته لدى استاذه فرانتس برنتانو ، وهى الفينومينولوجيا أو علم الظواهر [51] . هذا الاتجاه الجديد كان ثورة ضد الاتجاهات الوضعية والتجريبية .

لقد تأثر هوسرل بمثالية ديكارت ، وفهم أن المقصود بمصطلح الفينومينولوجيا أن تفهم الذات نفسها ، وهذا بالطبع يرتبط بالتفكير . ويقصد بالتفكير الإدراك ، وهو العملية التي يقوم بها العقل وتسمى بالوعي ، وهذه العملية تهدف إلى تحديد المقصود .

وأكد هوسرل على أن حضور الموضوع في الوعي يكون نتيجة قصد الوعي إليه . وليست القصدية هي أن يقصد الوعي إلى الأشياء الخارجية بهدف إدراكها ، بل القصدية تكون نحو الموضوع الحال في الوعي بهدف معرفته . وقد أخذ هوسرل مصطلح القصدية [52] Intentionality من كتابات أستاذه برنتانو وطوَّره . وأصبح هذا المفهوم هو الأساس الديناميكي لفينومينولوجيا هوسرل . ومن ثم نجد هوسرل أكد على وجود الذات كشرط لوجود الموضوع ، أي أن الموضوع لا يعني شيئاً إلا إذا ارتبط بالذات . [53]

ثم أعقبه شلاير ماخر الذي ولدت الهرمنيوطيقا في عهده نتيجة انصهار تفسير التوراه بفقه اللغة الكلاسيكي وبأحكام القضاء . وقد تم ذلك بفضل تقديم سؤال ما الفهم ؟ على سؤال ما معنى النص القصدي ؟ . فالبحث عن الفهم هو الذي أدى إلى الالتقاء بالسؤال الفينومينولوجي عن المعنى القصدي للنص . [54] وبالتالي أحدثت كتاباته نقطة تحول في تطور الهرمنيوطيقا ، حيث اختزلت الهرمنيوطيقا إلى وظيفة الفهم بعد ما كانت قبل فترة الرومانسية متمثلة في الفهم والتفسير والتطبيق . كما ذهب – شلاير ماخر وكذلك دلثي – إلى أن التأويل هو إعادة تكوين العمليات الذهنية للمؤلف . وبالتالي ستكون مهمة المؤول أن يحول الرموز إلى مفاهيم عقلية . [55]

ومن ثم ميز شلاير ماخر بين نوعين من التأويل : التأويل اللغوي الذي يهتم بمعاني الكلمات ، والتأويل السيكولوجي الذي يهتم بالمؤلف والعصر الذي قيل فيه النص أي صورة العصر وثقافة العصر كذلك ، والمقصود به السياق الخارجي . ورغم هذا التفريق بين النوعين إلا إنه يؤكد على حاجتهما معا وتفاعلهما معا . إذن يقوم المؤول بالتأويل في لحظتين تتفاعلان معا ، لحظة لغوية واخرى سيكولوجية . ورغم ذلك أكد شلاير ماخر على أن المدخل الحقيقي للتأويل هو المدخل إلى الكلمة . فالكلمة هى بؤرة النص وهى صاحبة التوجيه[56]

ثم جاء دلثي ورأى أن المعنى ، في إطار الدراسات الوضعية ، كان مقصورا على الفصل بين الذات والموضوع ، الذي ترتب عليه انفصال الماضي

عن المستقبل . ومن ثم راح دلثي يبحث عن تأويل ذي طابع فنومنولوجي . فتصور – دلثي – أن التأويل قائم على مقولات داخلية لا مقولات خارجية عن حياة الإنسان . أي مقولات التاريخ لا مقولات الرياضيات . ومن ثم أكد على أن التأويل مهتم اولا وأخيرا بتجارب الإنسان أي بتاريخية الإنسان ، بمعنى أن المستقبل لا يُفهم إلا من خلال الماضي . والتاريخ المقصود به مواجهة الاستبطان. (57)

صحيح أن الهرمنيوطيقا اتجهت اتجاها مغايرا للفينومينولوجيا . إذ اهتمت بالمعنى في بعده المعرفي والإدراكي ، أما الهرمنيوطيقا فاهتمت منذ دلثي بالمعنى في التاريخ . ورغم ذلك فكلاهما اهتما بعلاقة المعنى بالذات . (58)

ثم أعقبه هايدجر M. Heidegger الذي تطورت نظرية التأويل على يده . إذ كان له الفضل في معالجة مسألة التأويل في سياق يختلف اختلافا جذريا عما سبق . فلم يعد التأويل متركزا على سيكولوجية المؤلف ، كما كان عند شلايرماخر ودلثي . بل تجاوز الحدود التي وضعها دلثي للتأويل ، حين فرق بين التأويل العلمي والتأويل التاريخي ، فربط القصد بالوجود وليس بالمثالية التي دعى إليها – استاذه – هوسرل . وأكد على أن التأويل لم يعد نمطا للمعرفة والإدراك ، بل أصبح نمطا للوجود . وبالتالي فالتأويل هو ذو طابع وجودي تاريخي موحد ، وليس عملا ذهنيا(59)

والتأويل ، بهذه النظرة ، لا يقوم على مقولات ، بل يقوم على فكرة ظهور الوجود ، أي وجود الإنسان في العالم ، وبالتالي فالوجود أسبق من فكرة الوعي والمعرفة . وبهذا انتقل هايدجر من الاهتمام بفكرة الوعي ومقولاته إلى الاهتمام بفكرة الوجود وقدراته ، وسمى دراسته باسم (هرمنيوطيقا الوجود) .(60)

وبالتالي نقل هايدجر التأويل من فكرة التقابل بين الذات والموضوع ، واهتم بالعالم الذي يحتويهما معا . العالم عند هايدجر هو الافتراضات السابقة . وهذا يتضح عندما يواجه المؤول نصا ما فإنه يكون متأثرا بتقاليد معينة لها ارتباط بالزمان والمكان . وبالتالي فالمعنى الذي نستمده من أي نص هو نتاجا لافتراضتنا السابقة . ومن ثم فالتأويل بهذه الكيفية ليس نابعا من حياد . وبالتالي يرفض هايدجر فكرة التأويل الموضوعي . وعلى هذا النحو تخلص الفنومنولوجيا عند هايدجر من سلطة الذات وإدعاءاتها وافتراضاتها أن في وسعها أن ترى العالم كما تشاء بمقولاتها . (61)

ومن هنا رأى هايدجر أن التأويل ليس إعادة الماضي أو التاريخ ، وإنما البحث عما لم يقله النص ، ولكنه يعيش من وراء كلماته ، أي ما يكمن خلف الظاهر . فربط التأويل بالعنف الذي يستبطن النص . العنف بالنص هو استخراج المحذوف . والمحذوف موجود دائما ، أي لا يوجد نص دون حذف . وهذا

المحذوف هو لب التأويل . ومناط التأويل -هو ملئ الفراغات النصية وكشف الأجزاء الخفية ، وإخراج المعنى غير المعروف إلى النور . فالتأويل نافذة تطل على عالم خفي . وبالتالي المعنى كشف وستر . المعنى مستور من الناحية الجزئية . لا يظهر ظهورا كاملا ، ولا يختفي اختفاءا كاملا . (62)

وهكذا تهيأت دراسات التأويل لخطوة أخرى على يد جادامر . فجاء جادامر وأكمل ما قام به هايدجر وطوره ، فأقام حلقة وصل بين نظرية التأويل من ناحية وفلسفة الفهم التاريخي من ناحية أخرى . واهتم بطابع التاريخ الفعال . ومن هنا أصبحت نظرية التأويل تبحث في العلاقة بين الفهم والتاريخ . وارتباطه المستمر بالحاضر .

وبالتالي فالحديث عن التأويل الموضوعي واستقلال النص وموضوعية التاريخ والتخلي عن الموقف الحاضر الذي كان يدعو إليه دلثي وتلميذه إمليوبتّي هو ضرب من السذاجة . ذلك أن الفهم جزء من التاريخ . ومن ثم نجد جادامر – على عكس دلثي وبتّي (63) – معنيا بوجودية التفسير لا منهجيته . وهذا الجانب الوجودي يقوم على إنكار مبدأ الموضوعية . ومن ثم فهو يركز على المتلقي في تأويله للموضوع والوصول إلى المعنى . أي أن النص لا يمكن أن يعرف إلا من خلال المتلقي . وبالتالي النص والذات لا ينفصل أحدهما عن الآخر . (64)

إن التأويل هو حوار . حوار بين أفق خاص وأفق آخر أوسع منه ، لا من أجل البحث عما يسمى القصد الحقيقي للمنتج . فالقصد لا علاقة له بالتأويل . القصد هو ما يسميه جادامر بـــ التاريخية الردئية . التأويل عند جادامر نظرية في الثقافة . الثقافة حوار ومساءلة . والحوار – عند جادامر – هو حوار بين أفق المؤول وأفق الثقافة التي تواجهنا . وبالتالي تجربة التأويل هى حوار وتفاعل آفاق . هى لقاء بين التراث في شكل نص منقول وأفق المؤول .

إن التأويل يهتم بالأبعاد العميقة . فسطح اللغة لا يكشف غالبا عن شئ جوهري . فالوجود – الذي يسميه جادامر بالتراث – مخبوء في الأعماق ، لا ينكشف إلا من غيب . (65) فبالتالي لا يتم التأويل إلا إذا اصطدم بعائق أو غاب جزء ضروري من النص تكشف أمامنا . (66)

وآخر ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في التأويل ، هو ما عبر عنه بول ريكور – مستندا إلى فكرة المستوى الأفقي والرأسي syntagmatic and paradigmatic ، أي أن الكلمة ليس لها معنى مستقل بذاته ، بل تستمد معناها من السياق التي ترد فيه سواء بالتتابع أو بالتبادل – حيث اختزل الهرمنيوطيقا إلى تأويل الرموز ، أي إلى تفسير المعنى الثاني – المستتر غالبا – لتلك التعبيرات متعددة المعنى . (67) إذ إن أي نص له ظاهر وباطن ، مثل الإنسان له جسد وروح . فالإنسان لا وجود له إلا بوجود هذين العنصرين ؛ كذلك النص لا وجود له إلا بوجود ظاهر وباطن ، وهذا الظاهر – أو بالأحرى عالم النص – هو الذي يوجه

المتلقي إلى الباطن أو المعنى غير المباشر ، أي لا يُدرك إلا من خلال الأول . وبالتالي فالتأويل – عند ريكور – لا يبدأ من الوعي ، بل من العلامات التي تتوسط علاقة الوعي بالاشياء .

إن ما سبق يوضح الأسس الفلسفية للتأويل ، وهى أسس لسانية للتأويل . إذ إن اللسانيات تعتمد على فكرة العلاقة التي تتكون بين الدال والمدلول ، فالدال هو مجموع الأصوات التي تتكون منها الكلمة ، والمدلول هو المفهوم أو الصورة العقلية للدال . وأن دراسة اللغة تعتمد بالتالي على الناحية العقلية .

ومن ناحية أخرى ظهرت السيميولوجيا ودعت إلى ربط المفهوم بالمرجع أي بالعالم الخارجي ، ثم بدأت تظهر إرهاصات السياق الذي بلورته البراجماتية اللغوية ، واعتبرت أنه يعد أساس تفسير النص أو تأويل النص لأن النص عندما يتحدث عن موضوع إنما يرسم عالما خاصا به ، وعلى القارئ أن يرسم معالم هذا النص باستخدام نظرية المرجع . وبالتالي فتأويل أي نص / خطاب ما يستدعي السياق لتحديد التأويل الصحيح . [68] وهذا الدور يقوم به المتلقي .

ومن هنا بدأ الاهتمام بنظرية التلقي التي كانت تُعنى بدور المتلقي باعتباره منتجا للمعنى ، أو على حد تعبير إيكو : " النص مجرد رحلة خلوية ، يجلب فيها المتكلم / الكاتب الكلمات ، بينما يجلب المتلقي / القارئ المعنى " .[69]

التلقي :

واستنادا إلى التوجهات الهرمنيوطيقية والفينومينولوجية التي عملت على إعلاء قيمة المتلقي [70] بدأ الاهتمام بالمتلقي ودوره في تأويل النص أو بعبارة أخرى إعادة إنتاج النص . ومن هنا ظهرت نظرية التلقي . التي ترجع أصولها إلى فلسفتين ؛ هما الظاهراتية والهرمنيوطيقا .

إذ ارتبطت نظرية التلقي بالظاهراتية ارتباطا وثيقا ؛ لأن أغلب المفاهيم التي جاءت بها كانت مؤثرة في نظرية التلقي . ومن أبرز هذه المفاهيم ، مفهوم القصدية . وتؤمن الظاهراتية بأن المعنى ينتج من خلال تفاعل الذات والموضوع . وهذا ينطبق على تفاعل القارئ مع النص تفاعلا تأويليا قصد الوصول إلى المعنى وإعادة بنائه من جديد . كما تأثرت من ناحية أخرى بالهرمنيوطيقا ؛ إذ استفاد أصحاب هذه النظرية – ياوس خاصة – من آراء جادامر في مفهوم التأويل وإعادة الاعتبار إلى التاريخ في إعادة بناء المعنى .

لقد اكتسب هذا المصطلح – التلقي – مفهوما نظريا جديدا في الفكر الألماني المعاصر ، ليكون رد فعل للمناهج النقدية التي اهتمت بالمؤلف – واعتبرته مركز العملية الإبداعية ، والموجه للفهم وللتأويل – وكذلك للبنيويين ، بداية من الشكلانيين الروس ، الذين اهتموا بالنص ونادوا بموت المؤلف . ومن

هنا بدأ الاهتمام بالمتلقي . ومن ثم يرى الباحث أن نظرية التلقي فتحت أفقا جديدا في مجال التأويل . ولعل مدرسة كونستانس [71] هي من بدأت بالاهتمام بهذه الفكرة وهي العلاقة بين النص والمتلقي . وبالتالي أعادت نظرية التلقي الاعتبار لقضية التأويل من خلال الاهتمام بالمؤول / المتلقي .

لقد أعادت مدرسة كونستانس ، من خلال ممثليها هانس روبرت ياوس وفولفجانج إيزر ، بناء تصور جديد لمفهوم التلقي ودور المتلقي / المؤول في التأويل وإنتاج المعنى من خلال تفاعله مع النص . وهذا أدى إلى استخراج مفاهيم جديدة للنص تقوم على البحث عن المتلقي كشرط لوجود النص – بعد ما كان مفهوما ضيقا منغمسا في التيار السيكولوجي ، فوسعوا المفهوم – وهذا ما سيهتم به كل من ياوس وإيزر اللذين يمثلان نظرية التلقي الألمانية . أو ما يعرف بـــ " مدرسة كونستانس " . [72]

فرضيات ياوس :

لقد انتقد ياوس الاتجاهات الوضعية التي حكمت القرن التاسع عشر ، وذلك لأنه وجد التحليل اللغوي لم يقو على تقديم تصورات جديدة للماضي وبالتالي اختزال العملية الإبداعية . ومن هنا بني – ياوس – فرضياته مستندا إلى المفهوم الظاهراتي . إذ أعاد النظر في ثنائية الذات / الموضوع ، وكشف عن العلاقة بينهما ، فميز بين النص والقصد . فالنص له قدرات تكمن في ممتلكاته ، أما القصد يوجد في الذات المتلقية للنص . والعلاقة بين ما يملكه المتلقي من معارف سابقة ، وبين ممتلكات النص أو عالم النص ، هو ما يسمى بالتأويل.[73]

وبالتالي فإن ياوس اهتم بالمتلقي واعتبره عاملا مشاركا في النص وليس عنصرا سلبيا ، بل يعد كذلك مركزا للنص المقدم ، فبواسطته – أي المتلقي – يتغير منظور النص ، وفي القصد ما بين النص والمتلقي ، مثل العلاقة ما بين السؤال والإجابة ، بين المشكلة وحلها . [74]

ولقد تأثر ياوس بجادامر من خلال إعادة الاعتبار للتاريخ في التأويل والفهم وإنتاج المعنى ، حيث إن التاريخ له دوره الفاعل في إستراتيجية الفهم لاحتوائه على خبرات وادراكات سابقة لا يستقيم الفهم إلا بها ، وهذا ما يسميه جادامر بالأفق التاريخي الذي تطور فيما بعد عند ياوس بما يسمى بأفق التوقع.[75]

أفق التوقعات Horizon Of Expectation :

لقد لعب مصطلح (أفق التوقعات) دورا بارزا في نظرية التلقي ، حيث يمثل ركيزة أساسية في تشكيل نظرية ياوس ، من حيث هو نظام من العلاقات ، أو جهاز عقلي يستطيع فرد افتراضي أن يواجه به نص ما . ويربط ياوس بين عملية التلقي وأفق التوقعات ، على أساس أن المتلقي يعيد بناء هذا الأفق ، ومن

ثم يمكن قياس أثر النصوص على أساس الأفق الذي تم استخلاصه من هذه النصوص . ومن ثم يخطط ياوس لتاريخ يهتم بالتلقي بصفة أساسية ، مستهدفا بذلك إنشاء علاقات بين الإنتاج والتاريخ . [76]

وقد أشار ستاروبنسكي إلى أن مفهوم أفق التوقع أو أفق الانتظار – عند ياوس – يرجع إلى أصول ظاهراتية . [77] فقد أخذ ياوس مفهوم الأفق من جادامر مركبا معه كلمة الانتظار وقد أخذها من مفهوم (خيبة الانتظار) عند كارل بوبر . وبناء على ذلك كانت دعوة ياوس إلى فهم تاريخي وجعله شرطا أساسيا من شروط أية ممارسة تأويلية في نظره ، وهذا يعني أن السياق التاريخي يتحد مع أفكار المؤول ، ومن ثم يقوم المؤول بإعادة إحياء معنى النص ، وتسمي هذه العملية بـــ(انصهار الأفق)[78] أي أفق النص وأفق المؤول/المتلقي . [79]

فأي خطاب يستند إلى مجموعة من المرجعيات المضمرة ، أو بمعنى آخر يتضمن مجموعة من الإحالات على نصوص سابقة ، أي أن الخطاب لا يأتي من فراغ بالإضافة إلى أن الجمهور الذي يوجه إليه هذا الخطاب هو جمهور مسلح بتجاربه الخاصة التي اكتسبها من النصوص السابقة ، فالنص / الخطاب الجديد يستدعي إلى ذهن المتلقي أفق التوقع وقواعد يعرفها بفضل النصوص السابقة ، قواعد تكون عرضه لتغيرات وتعديلات ، أو يعاد إنتاجها . [80]

ولعل من الضروري هنا الإشارة إلى أن أهم مظاهر الاختلاف بين كل من ياوس وإيزر – رغم الإطار العام المشترك بينهما – هو اهتمام ياوس بالتاريخ . بينما يركز إيزر على كيفية تفاعل النص والمتلقي ، ومحاولته تشريح عملية التأويل والاهتمام بقضية بناء المعنى . وهذا ما سنوضحه

فرضيات فولفجانج إيزر :

إن ما يميز أي نص هو أن معناه يُبني وفق قواعد وقوانين تؤسس أثناء التأويل . وهذا ما يفسر عدم وجود معنى جاهز . وهذا الغياب هو ما يميز علاقة النص بالمتلقي . [81] ومن ثم اهتم إيزر بقضية بناء المعنى ، وطرائق تأويل النص من خلال اعتقاده أن النص ينطوي على عدد من الفجوات Empties [82] التي تستدعي قيام المتلقي بعدد من الإجراءات – مثل افتراض وجود القارئ الضمني Implied Reader الذي يشكل صلب نظريته – لكي يصل إلى معنى النص. [83]

وفي الوقت الذي اعتمد فيه ياوس في بادئ الأمر على علم التأويل (الهرمنيوطيقا) متأثرا بهانز جورج جادامر على نحو خاص ، كانت الظاهراتية (الفينومينولوجيا) هى المؤثر الأكبر في إيزر متأثرا على نحو خاص ، بعمل رومان إنجاردن الذي تبنى فيه إيزر نموذجه الأساسي كما تبنى عددا آخر من مفاهيمه الأساسية . [84] من أبرزها – كما ذكرنا سابقا – مفهوم التعالي الذي

يقصد به أن فهم الظاهرة خاضع للذات ، أي المؤول ، ولا يخضع لاعتبارات خارجية . وقد عدل انجاردن – تلميذ هوسرل – من مفهوم التعالي ، إذ رأى أن العمل هو نتاج تفاعل بين بنية النص وفعل الفهم . أما مفهوم القصدية فيعني أن المعنى يتشكل من خلال الفهم الذاتي للنص ، وعد المعنى خاضعا للفهم وناتجا له .[85] وبالتالي فالنص – عند انجاردن – ليس له وجود كامل بدون مشاركة المتلقي . ولكي يتم الوجود الكامل للنص لابد من حصول تفاعل بين الذات والموضوع .

ومن ثم نجد أن تلقي النص وتأويله مرتبط ارتباطا وثيقا بالظاهراتية التي اهتمت بتداخل الذات والموضوع ، أو بثنائية القارئ والنص ، وربطت ذلك بمفهوم واحد هو ما عرفته بالقصدية . القصدية هنا لا تعني ما أراد أن يقوله المنتج ، ولكن هو الوعي بالموضوع .[86] القصدية هى اسبقية وعي الشئ على وعي الذات .

ولكن خضعت نظرية إيزر لنقاشات ولانتقادات كثيرة . ويعود أصل هذا النقاش إلى من يحرك التأويل الذاتية أو الموضوعية ؟ .[87]

الذاتية والموضوعية :

لقد أثار الفرق بين الموضوعية والذاتية جدالا حادا بين مختلف النقاد ، حيث انقسموا إلى تيارين أساسيين . فمنهم من يركز على النص وكل ما يتعلق به كظروف الإنتاج وسلطة المؤلف وغيرها ، وأن النص في حد ذاته هو العنصر الأساسي في أي عملية تأويل . ومنهم من يهتم بعنصر القارئ في عملية التأويل كمنتج لمعنى النص ، ويرفض الرأي القائل بأن النص في حد ذاته كاف ، حيث أن موضوعية النص ما هى إلا وهم . وهذا ما تبناه إيزر .[88]

وبالتالي يمكن القول أن هناك تناقض بين قطبين رئيسين هما : قطب المؤلف والنص وقطب القارئ . إذا كان التأويل التقليدي يعتمد على البحث في ظروف الإنتاج ودور المؤلف ؛ فقد بدأ التأويل الجديد يركز اهتمامه على دور المتلقي الذي أصبح جزءا لا يتجزأ من كل عملية تأويل . ولكن لا يعني هذا أن التأويل من منظور القارئ وحده أصبح تاما ، لا يخلو من نقائص .[89] ومن فالتأويل هو نتاج تفاعل النص والقارئ معا . والسؤال هنا حول دور النص في التأويل من جهة ودور القارئ من جهة أخرى؟.

لقد اهتم إيزر – منذ البداية – بمسألة كيف يقدم النص معنى للمتلقي ؟ أو بمعنى آخر كيفية إنتاج معني النص من خلال معالجته للعلاقة بين النص والقارئ . وخلافا للتأويل التقليدي ، الذي كان يحاول تقصي المعاني الخفية في النص بحثا عن قصدية صاحبه ، رأي إيزر أن المعنى ليس هو المعنى الخفي في النص ، بل هو نتيجة التفاعل بين النص والمتلقي .[90]

وهكذا مع نشأة نظرية التلقي انتقل التركيز من دائرة النص والمؤلف إلى دائرة النص والقارئ . فالذي يقيم النص هو القارئ المستوعب له ؛ وهذا يعني أن القارئ شريك للمنتج في تشكيل المعنى ، لأن النص لم يكتب إلا من أجله .

فبينما نجد النظريات النقدية الحديثة تبحث عن منهج يتبناه المتلقي لتلقي النص قبل أن يبدأ في عملية التأويل ، نجد أن نظرية التأثير لا تهتم إلا بعملية التأويل ، على أساس أن تأويل النص لا يتم إلا من خلال تفاعل المتلقي مع النص . وبعبارة أخرى فإن الاتجاهات الأخرى – مثل الاتجاه البنيوي ، أو السيميولوجي ، أو الاجتماعي ، أو غير ذلك من المناهج – تنظر إلى العلاقة بين النص والقارئ بوصفها علاقة تسير في اتجاه واحد ، من النص إلى القارئ . وتتم عملية التلقي عندما يفك القارئ شفرات النص . أما نظرية إيزر فترى أن عملية التأويل تسير في اتجاهين متبادلين ؛ من النص إلى القارئ ، ومن القارئ إلى النص . فبقدر ما يقدم النص للقارئ ، يضفي القارئ على النص أبعادا جديدة ، قد لا يكون لها وجود في النص . وعندما تتلاقي وجهات النظر بين القارئ والنص ، عندئذ تكون عملية التأويل قد أدت دورها ، لا من حيث إن النص قد تم تلقيه ، بل من حيث إنه قد أثر في القارئ وتأثر به على حد سواء . ولهذا لا تسمى هذه النظرية بنظرية التلقي ، بل تسمى نظرية التأثير والتأثر (Effects and Communications Theory) . (91)

وهنا نجد أن إيزر يختلف عن الآخرين في كونه يرى أن التأويل هو نتيجة التفاعل والتأثير المتبادل بين النص والمتلقي ، أو بمعنى آخر ، يوازن بين أفق القارئ وأفق النص .

ومن ثم فنظرية إيزر ليست هى نظرية التلقي ، بل هى نظرية في التأثير المتبادل بين النص والقارئ . أما نظرية التلقي فهي تعنى بما يسمى بـــ أفق التوقعات ، التي تتحدد بتوقعات القارئ لحظة تلقيه للنص / الخطاب ؛ وهى التوقعات الثقافية التي تتكون لديه في ظروف تاريخية محددة . فإذا كان القارئ معايشا لظروف النص ، اقترب أفق التوقعات من هذا النص . أما عندما يكون النص قديما ، فإن القارئ يخلق لنفسه أفقا لتوقعات تتفق مع الزمن التاريخي للنص

وخلاصة القول أن نظرية التلقي تعنى بالحكم على النص في ظروف تاريخية محددة ؛ وهى تضع في حسبانها أفق توقعات القارئ . ومعنى هذا أن نظرية التلقي تظل تحتفظ في الصدارة بثنائية القارئ والنص . أما نظرية التأثير فهى تلغي الثنائية بين الذات والموضوع ، ليحل محلها التأثير المتبادل الذي ينجم عن التداخل بل الالتحام بينهما .

إن المعنى في النص ، من وجهة نظر هذه النظرية ، لا يتكون من

موضوع محدد ، بل هو في حد ذاته عملية مستمرة ومصاحبة لتجربة المتلقي / القارئ المتطورة مع تطور النص . وبناء على هذا فإن القارئ لا يبحث عن معنى ، بل عن تفسير موجه للمعنى . ولكي يصل القارئ إلى مرحلة التفسير فإنه يجري على عمليتين أساسيتين :

1 . العملية الأولى هى صياغة المعنى في إطار تكوين .

2 . والعملية الثانية هى تحويل المعنى إلى أفكار تقبل المحاورة ، كما لو كان المعنى غير محدد وواضح في ذاته .

وهكذا فالنص لا تدب فيه الحياة إلا إذا تم تأويله . وعملية تأويل النص لا تتم إلا إذا أحيل النص إلى حركة ، أي عندما يتفاعل عالم النص مع عالم القارئ . ولكن هذه الحركة ليست حرة ؛ فالقارئ – من جهة – حر في مشاركته في النص ، وذلك بملء الفراغات والفجوات ؛ ومن جهة أخرى ، هذه الحرية تكون مقيدة بعالم النص . [92] إذ يقول إيزر : " لكي يكون التواصل والتفاعل بين النص والقارئ ناجحا يجب أن يُضبط نشاط القارئ بطريقة ما من طرف النص " . [93] وبالتالي فمعنى النص هو نتيجة تفاعل يحدث بين عالم النص والقارئ .

وهكذا نلاحظ أن إيزر حاول من خلال نظريته ألا يركز على جانب واحد فقط ، وهو المتلقي ؛ بل استوعبت الأبعاد الأخرى ، من خلال إدماج العديد من النظريات في نظرية تشمل كل عناصر التواصل . وهى بذلك تتجاوز الاتجاهات الأخرى التي كانت تركز على أحد أقطاب العملية دون الأخرى .

خاتمة :

تبين من الدراسة أن الدراسات اللغوية الحديثة تجاوزت الدراسة الشكلية التي كانت قاصرة على المفاهيم الصورية – دراسة النظام اللغوي معزولا عن سياقه – وأصبحت تهتم بدراسة استخدام اللغة في سياقها الاجتماعي ، أي البراجماتية اللغوية التي تقوم بدراسة الخطاب لتصل إلى كيفية التواصل بين المتكلم والمتلقي . فالنص يستمد معناه بفضل المتلقي . ومع هذا لا يمكن الوصول للمعنى المراد دون معرفة المتلقي لسياق الموقف أو للسياق الخارجي – لأن السياق يعد أساس تأويل النص – لمعرفة المعاني الضمنية في النص الذي يؤدي في النهاية إلى التأويل .

إن البراجماتية اللغوية هى دراسة في الكفاءة والإنجاز معا ، أي دراسة تكاملية ، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر . ومن ثم فالبراجماتية اللغوية ، يتمثل دورها في وصف الآليات غير اللسانية المتصلة بتأويل الأقوال في سياقها من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتمثل في وصف العلاقة بين الشكل والمعنى . ومن ثم أصبحت معالجة أي نص / خطاب تأتي على هذا الترتيب : المعالجة التركيبية ثم المعالجة الدلالية ثم المعالجة التداولية وصولا في النهاية إلى التأويل.

ويلجأ المتلقي إلى التأويل لأن المتكلم يستخدم – في أغلب الأوقات – اللامباشرة في خطاباته . وذلك لأنه يرغب في قول وعدم قول شئ في الوقت نفسه . فمن خلال استخدام الأسلوب غير المباشر ، يمكن للمتكلم أن يقول شيئا ويعني شيئا آخر ، وبذلك يترك لنفسه فرصة الانسحاب من المأزق في حالة ردة فعل غير متوقعة . إلا أن الأكثر شيوعا في استخدام الأسلوب غير المباشر هو لأسباب تتعلق بالكياسة والتأدب . وهذا ما يجعل المتلقي يلجأ إلى التأويل .

التأويل هو البحث عما لم يقله النص ، أي ما يكمن خلف الظاهر . التأويل هو استخراج المحذوف . ولا يوجد نص دون حذف . وهذا المحذوف هو لب التأويل . ومهمة التأويل هى ملئ الفراغات النصية وكشف الأجزاء الخفية ، وإخراج المعنى غير المعروف إلى النور . ومن ثم فالتأويل هو حوار بين أفق المؤول وأفق الثقافة التي تواجهنا (النص) ، لا من أجل البحث عما يسمى القصد الحقيقي للمنتج . فالقصد لا علاقة له بالتأويل . بل هى لقاء بين التراث في شكل نص منقول وأفق المؤول .

إن نظرية التلقي – التي برزت على يد هانس روبرت ياوس وفولفجانج إيزر – فتحت أفقا جديدا في مجال التأويل ، من خلال الاهتمام بالمتلقي ودوره في تأويل النص . فخلافا للتأويل التقليدي ، الذي حاول تقصي المعاني الخفية في النص بحثا عن قصدية صاحبه ، رأي إيزر أن التأويل ليس هو المعنى الخفي في النص ، بل هو نتيجة التفاعل بين النص والمتلقي . أي أن عملية التأويل تسير

في اتجاهين متبادلين ؛ من النص إلى القارئ ، ومن القارئ إلى النص . على عكس الاتجاهات الأخرى التي كانت ترى أن العلاقة بين النص والقارئ هى علاقة تسير في اتجاه واحد ، من النص إلى القارئ .

ومن ثم فنظرية إيزر ليست هى نظرية التلقي ، بل هى نظرية في التأثير المتبادل بين النص والقارئ . أما نظرية التلقي فهي تعنى بما يسمي بـــ أفق التوقعات ، التي تتحدد بتوقعات القارئ لحظة تلقيه للنص / الخطاب . أي بالحكم على النص في ظروف تاريخية محددة آخذه في حسبانها أفق توقعات القارئ .

الهوامش :

(1) الشهري : استراتيجيات الخطاب / 5
(2) Synchrony : معنى هذه الكلمة وفقا للغة اليونانية هى syn : مع – سويا ، chromos : زمن ، أي الذي يحدث في نفس الفترة الزمنية
(3) Diachrony : معنى هذه الكلمة وفقا للغة اليونانية هى dia طريق ، chromos : زمن ، أي الذي يحدث خلال التطور التاريخي . רפאל ניר : מבוא לבלשנות / 22
(4) صلاح حسنين : في لسانيات العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2011 / 57- 61
(5) רפאל ניר : מבוא לבלשנות / 32
(6) שם /33
(7) حسنين /61
(8) ניר / 33
(9) حسنين : النحو والدلالة / 5
(10) حسنين : في لسانيات العربية / 62- 65
(11) السابق / 66- 67
(12) السابق / 67-73
(13) مثال لتوضيح عناصر الاتصال : الحدث : رفع راية بيضاء
العناصر : المرسل المرسل إليه القناة الشفرة الرسالة
الجندي العدو العلم الهزيمة اللون
לשון ، חברה ותרבות עמ'20
(14) ניר / 73 – 73
(15) שם / 76-77
(16) Leech : Principles Of Pragmatics . p 49
(17) ibid . p 56-57
(18) الوظيفة التعاملية هى " اللغة المستخدمة لنقل المعلومات المتعلقة بالوقائع والأقوال " وتكون اللغة المستخدمة هنا موجهة نحو الرسالة نفسها ليتمكن المرسل إليه من أن يتلقى المعلومات المحمولة في الخطاب تلقيا سليما كما أراده المرسل في لحظة إنتاجه خطابه مثل الخطابات التي تحتوي على إرشادات الطبيب أو تعليمات المدرس لطلابه .
(19) أما الوظيفة التفاعلية فهى التي " تقوم بإقامة العلاقات الاجتماعية وتثبيتها " . وتتضح هذه الوظيفة في الأحاديث اليومية التي تحدث حتى عند انعدام المعرفة المسبقة بين أطراف الخطاب والتي تعبر عن لطف وكياسة . براون ويول : تحليل الخطاب / 3
(20) براون ويول : تحليل الخطاب / 3
(21) الشهري : استراتيجيات الخطاب / 20
(22) حسنين / 78- 86
(23) السابق / 91
(24) ناعوم تشومسكي : البنى النحوية ، تر يوئيل عزيز ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987 / 19
(25) حسنين : النحو والدلالة / 5
(26) حسنين / 93 – 94
قدم حومسكي تركيبا جديدا للقواعد - في كتابه جوانب النظرية النحوية - وتتكون هذه القواعد من

ثلاثة مكونات هى المكون الدلالي والمكون الفونولوجي وهما مكونان تفسيريان ، والمكون النحوي ، وهو المكون الخلاق . وهو يتوسط المكونين الدلالي والفونولوجي . يرتبط المكون الدلالي بالبنية العميقة ، ويرتبط المكون الفونولوجي بالبنية السطحية . يتكون المكون النحوي من الأساس ومن البنية التحويلية . إن الأساس هو الذي يشكل التراكيب العميقة ، والذي يولد التراكيب السطحية من التراكيب العميقة عمليات شكلية تسمي التحويلات . والتحويلات هى قوانين تعمل على البنية العميقة فتميزها زيادة أو حذفا أو تغيير مواقع ، وتهدف إلى الوصول ببنية الجملة إلى صيغتها السطحية . وفي هذه المرحلة الثانية تم التركيز في التحويلات على الاختلاف بين الجمل التي تتشابه في تركيبها السطحي ، ولكنها تختلف في تركيبها الدلالي . إن التراكيب العميقة هى دخل للمكون النحوي (الأساس) الذي يفسره المكون الدلالي . والتراكيب السطحية هى دخل للمكون الفونولوجي الذي يفسره التحليل الفوناتيكي .

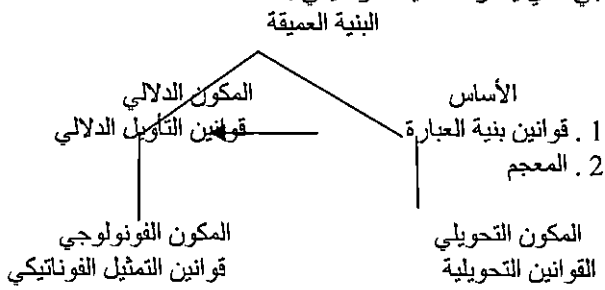

حسنين / 101- 104

(27) חיים רבין : עיונים בחקר השיח– מבוא לחקר השיח – עמ'2

(28) סול אטיאס – השיח המשפטי – הפלילי – דוקטורט –2002 – עמ' 9

(29) שם / עמ' 9 – 10

(30) الموسوعة اللغوية / 185

(31) حسنين : النحو والدلالة / 115

(32) סול אטיאס – עמ' 10

(33) שם / עמ' 10

(34) القاموس الموسوعي للتداولية / 10

(35) السابق / 30

(36) Leech . p 47

(37) الموسوعة اللغوية / 173

(38) السابق / 173

(39) السابق / 174- 176

(40) الاستلزام : يميز جرايس بين نوعين من الاستلزام . الاستلزام التحاوري (الذي يعتمد على افتراضات المبدأ التعاوني) يتميز عن الاستلزام التقليدي (الاصطلاحي) ، الذي يرتبط ببساطة ، من خلال الاصطلاح ، بمعاني كلمات معينة . كما أنه يميز داخل الاستلزام التحاوري بين الاستلزام التحاوري العام والاستلزام التحاوري الخاص . فالأول هو نموذج من الاستدلال يجري عادة دون الإشارة إلى حالة معينة . أما الاستلزامات الخاصة تنشأ من ألفاظ محددة تحدث في حالات معينة .

الموسوعة اللغوية / 183- 184
(41) السابق / 179 – 182
(42) القاموس الموسوعي للتداولية / 34
(43) السابق / 40
(44) انظر الموسوعة اللغوية / 185
(45) السابق / 193
(46) مصطلح الهرمنيوطيقا مصطلح قديم مستمد من اليونانية Hermeneia يعني التأويل ، وأصل كلمة هرمنيوطيقا هو من الإله هرمس Hermes بوصفه رسول الآلهة ، فقد كانت مهمته ، حسب الأساطير اليونانية ، أن ينقل رسائل الآلهة إلى بني البشر وفي نفس الوقت يساعد البشر في فهم الرسائل الرمزية للألهة . (من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية / 411)
(47) مصطفى ناصف : نظرية التأويل /22
(48) السابق /27- 30
(49) في مفهومي القراءة والتأويل– عالم الفكر،م 33 /25
(50) مصطفى ناصف / 47
(51) تتكون كلمة فينومينولوجيا Phenomenology الإنجليزية من مقطعين Phenomena الظاهرة، و Logy أي الدراسة العلمية لمجال ما ، أي تعني علم دراسة الظواهر . والمقصود بالظواهر ، ظواهر الوعي ، أي ظهور موضوعات وأشياء العالم الخارجي في الوعي ، وبذلك تكون الفينومينولوجيا هي دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكه لها وكيفية حضور الظواهر في خبرته ، أي دراسة خبرة الوعي بالأشياء وخبرته بذاته . من الشكلانية الى ما بعد البنيوية / 441
(52) ظهرت فكرة القصدية أولاً لدى برنتانو أستاذ هوسرل، إذ استخدمها في سياق تمييزه بين علم النفس التجريبي وعلم النفس الوصفي. ذهب برنتانو إلى أن علم النفس الوصفي لا يدرس الوعي من وجهة نظر عضوية أو سلوكية كما يفعل علم النفس التجريبي، بل يدرسه على أنه وعي قصدي . والقصدية عند برنتانو تعني الإشارة إلى موضوع داخل الوعي .
(53) انظر : من الشكلانية الى ما بعد البنيوية / 443
(54) ريكور : من النص إلى الفعل / 21
(55) من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية / 399 – 404
(56) مصطفى ناصف /55
(57) السابق / 63 ، 68
(58) ريكور / 21
(59) انظر : مصطفى ناصف / 83 ، 100
(60) السابق / 77 – 78
(61) السابق / 81 وانظر : من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية / 406- 413
(62) مصطفى ناصف / 88- 89 ، 141
(63) لقد اعترض بتي على اتجاه نظرية التأويل في ألمانيا نحو إضفاء معنى على النص . وتمسك بمبدأ موضوعية النص والتخلي عن الموقف الحاضر . إن سبب الخلاف هنا أن بتي مؤرخ ، والمؤرخ لا يعنيه علاقته بالحاضر ، بل يعنيه أن يعوض في النص الذي يدرسه . أما رجل القانون

– أي جادامر – فما يهمه هو ذلك الحاضر وتطبيق النص عليه . ص 39
(64) السابق / 33 – 37
(65) السابق / 105 ، 139- 143
(66) السابق / 81
(67) من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية /428- 429
(68) ريكور : نظرية التأويل / 45
(69) امبرتو ايكو : التأويل والتأويل المفرط ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 1996 / 41
(70) رشيد بنحدو : العلاقة بين القارئ والنص ، عالم الفكر ، م 23 ، 1994 / 473
(71) يمكن أن نميز في هذه المدرسة بين اتجاهين كبيرين متباينين هما : اتجاه جماعة برلين ، وجماعة كونستانس . فجماعة برلين التي يمثلها (نومان) كانت تقوم فرضيتها النظرية في نظرية التلقي على قاعدة فلسفية مستمدة من النظرية الماركسية . فكانت ترى أن التواصل يقوم على عناصر أربعة هى : المؤلف – النص – المتلقي – المجتمع ، وأن البحث في العلاقة بين النص والقارئ غير كاف لإبراز عملية التواصل التي تلعب فيها عناصر خارج نصية دورا كبيرا . أما مدرسة كونستانس الألمانية فتعتبر المرجع الأساسي في نظرية التلقي التي أعادت للقارئ اعتباره . إذ تصهر هذه العناصر الثلاثة (المؤلف، النص، القارئ) جميعا في آلية التأويل . ولم تتحدث عن المجتمع كعنصر مستقل كما فعلت جماعة برلين ، لأنها ترى أن المجتمع يوجد في النص وفي القارئ . نظرية التلقي-اشكالات وتطبيقات /25 - 27
(72) نظرية التلقي – اشكالات وتطبيقات / 27
(73) السابق / 27 ، 29
(74) عبد الناصر حسن : نظرية التلقي عند ياوس وإيزر / 12 – 13
(75) بشرى موسى : نظرية التلقي - أصول وتطبيقات / 39
(76) روبرت هولب : نظرية التلقي مقدمة نقدية / 15
(77) نظرية التلقي – اشكالات وتطبيقات / 30
(78) مفهوم اندماج الأفق : تعني الاستجابة التي تتم بين الأفق التاريخي للمتلقي وأفق النص . وهنا نجد ياوس يسعى ، في نظرية التلقي ، للتوفيق بين السانكرونية والدياكرونية . أما مفهوم تغيير الأفق : أي يحدث تعارض بين أفق القارئ أثناء مباشرته للنص وبين عدم استجابة النص لتلك التوقعات ، فيقف المتلقي هنا ليبني أفقا جديدا عن طريق اكتساب وعي جديد قد يكون مقياسا يعتمد عليه في التاريخ . نظرية التلقي – اشكالات وتطبيقات / 30 ، 31
(79) عبد الناصر حسن / 16 ، 17
(80) السابق / 22 ، 25
(81) عبد العزيز طليمات : فعل القراة : بناء المعنى وبناء الذات /157
(82) لقد تبنى ايزر هذا المفهوم من مفهوم ظاهراتي عند انجاردن هو : مواقع اللا تحديد . السابق /158
(83)عبد الناصر حسن / 33 – 34
(84) روبرت هولب / 135
(85) بشرى موسى / 39

(86) نظرية التلقي – اشكالات وتطبيقات / 24 – 25 ، 33
(87) السابق / 35 ، 37
(88) من قضايا التأويل والتلقي / 37
(89) السابق / 37 - 40
(90) روبرت هولب / 78
(91) نبيلة إبراهيم : القارئ في النص / 101 – 102
(92) السابق / 102 ، 103
W . Iser : The reader in the text , 1980 , p 110 (93)

المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية :

1. ايكو ، امبرتو : التأويل والتأويل المفرط ، تر ناصر الحلواني ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 1996
2. براون ويول : تحليل الخطاب ، تر/ محمد لطفي الزليطني ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، 1997
3. تشومسكي ، ناعوم: البنى النحوية ، ترجمة يوئيل عزيز ، بغداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، 1987
4. تومبكنز ، جين : من الشكلانية الى ما بعد البنيوية حسن ناظم ، المركز القومي للترجمة
5. حسن ، عبد الناصر : نظرية التلقي بين ياوس وإيزر ، 2002
6. حسنين ، صلاح الدين : النحو والدلالة ، القاهرة ، 2005
7. ـــــــــــــــ : في لسانيات العربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2011
8. ريكور ، بول : من النص إلى الفعل ، تر/محمد برادة ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث ، 2001
9. ـــــــــــــ : نظرية التأويل ـ الخطاب وفائض المعنى ، تر/سعيد الغانمي ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 2006
10. الشهري ، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، 2004
11. موسى ، بشرى : نظرية التلقي ـ أصول وتطبيقات ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، 2001
12. موشلر ، جاك : القاموس الموسوعي للتداولية ، تونس ، المركز الوطني للترجمة
13. ناصف ، مصطفى : نظرية التأويل ، جدة ، النادي الأدبي الثقافي ، 2000
14. هولب ، روبرت : نظرية التلقي مقدمة نقدية ، تر/عز الدين إسماعيل ، القاهرة ، المكتبة الأكاديمية ، 2000

المقالات والدوريات :

1. بنحدو ، رشيد : العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر ، عالم الفكر ، م 23 ، 1994
2. المتقن ، محمد : في مفهومي القراءة والتأويل ، عالم الفكر ، م 33 ، ع 2 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، 2004

3. إبراهيم ، نبيلة : القارئ في النص ، فصول ، م 5 ، ع 1 ، القاهرة ، 1984
4. كولنج ، ن . ى : الموسوعة اللغوية ، تر/ محيي الدين حميدي ، م 1 ، الرياض جامعة الملك سعود
5. عبد العزيز ، طليمات : فعل القراة : بناء المعنى وبناء الذات ، ضمن كتاب نظرية التلقي – اشكالات وتطبيقات ، الدار البيضاء ، النجاح الجديدة ، 1993
6. لحمداني ، حميد : الخطاب الأدبي - التأويل والتلقي ، ضمن كتاب من قضايا التأويل والتلقي ، الدار البيضاء ، النجاح الجديدة ، 1994
7. الكدية ، الجيلالي : تأويل النص الأدبي ، ضمن كتاب من قضايا التأويل والتلقي ، الدار البيضاء ، النجاح الجديدة ، 1994
8. بو حسن ، أحمد : نظرية التقي والنقد الأدبي العربي الحديث ، ضمن كتاب نظرية التلقي – اشكالات وتطبيقات ، الدار البيضاء ، النجاح الجديدة ، 1993

المراجع باللغة الإنجليزية :

1 . Leech . G : Principles Of Pragmatics , longman , london , 1996
2 . Iser . W : The reader in the text , 1980

المراجع باللغة العبرية :

1 . אטיאס . סול : השיח המשפטי – הפלילי בישראל (1980-1995) : חקר פרגמטי-לשוני ، דוקטורט ، אוניברסיטת חיפה ، 2002

2 . רבין . חיים : מבוא לחקר השיח ، עיונים בחקר השיח

3 . רפאל . ניר : מבוא לבלשנות ، האוניברסיטה הפתוחה ، תל אביב ، 1989

4 . מוצ'ניק . מלכה : לשון ، חברה ותרבות ، כרך א ، פרקים 1-3